



مرور الأيام بسرعة..  
هل هو من علامات الساعة؟

روى البخاري (1036) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتُظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الدَّهْرُ وَهُوَ الْقِتْلُ الْقِتْلُ وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الدَّمَالُ فِي فَيْضٍ).  
وروى أحمد (10560) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَيَكُونُ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَالْحَتِّ الرَّاقِ الْمُسْعَفَةِ) وَالْمُسْعَفَةُ هِيَ الْخُوصَةُ.

قال ابن كثير: إسناده على شرط مسلم اهـ. وصححه الألباني في صحيح الجامع (7422).  
فهذان الحديثان يدلان على أن من علامات الساعة تقارب الزمان.

وقد اختلف العلماء في معنى تقارب الزمان على أقوال كثيرة وأقوى هذه الأقوال:

أن تقارب الزمان يحتمل أن يكون المراد به التقارب الحسي أو التقارب المعنوي.

أما التقارب المعنوي فمعناه ذهاب البركة من الوقت وهذا قد وقع منذ عصر بعيد.

وهذا القول قد اختاره القاضي عياض والنووي والحافظ ابن حجر رحمهم الله.

قال النووي: المراد بـ"قصره" عدم البركة فيه وَأَنَّ الْيَوْمَ مَثَلُ الْيَوْمِ صَيْرُ الْمَائِنِ تَفَاعٍ بِهِ بِقَدَرِ الْمَائِنِ تَفَاعٍ بِالسَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ اهـ.

وقال الحافظ: والحق أن المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة اهـ.

ومن التقارب المعنوي أيضاً: سهولة الاتصال بين الأماكن البعيدة وسرعته مما يعتبر قد قارب الزمان فالمسافات التي كانت تقطع قديماً في عدة شهور صارت لا تستغرق الآن أكثر من عدة ساعات.

قال الشيخ ابن باز: في تعليقه على فتح الباري (2/522): التقارب المذكور في الحديث يُفسَّر بما وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم وقصر المسافة بينها بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة وما إلى ذلك والله أعلم اهـ.

وأما التقارب الحسي فمعناه: أن يقصر اليوم قصراً حسيّاً فتمر ساعات الليل والنهار مروراً سريعاً وهذا لم يقع بعد ووقعه ليس بالأمر المستحيل ويؤيده أن أيام الدجال ستطول حتى يكون اليوم كالسنة والشهر كالجمعة في الطول فكما أن الأيام تطول

فكذلك تقصر. وذلك لاختلال نظام العالم وقرب زوال الدنيا.

ونقل الحافظ في الفتح عن ابن أبي جمرة أنه قال:

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِتَقَارُبِ الزَّمَانِ قِصْرَهُ عَلَى مَا وَقَعَ فِي حَدِيثٍ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَعَلَى

هَذَا فَالْقَصْرَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حَسْبِيَّ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَوِيَّ أَمَّا الْحَسْبِيُّ فَلَمْ يَظْهَرْ بِعَدْوَلٍ عَنْهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَكُونُ قُرْبَ قِيَامِ السَّاعَةِ وَأَمَّا الْمَعْنَوِيُّ فَلَهُ مَدَّةٌ مِنْ ذِظْهِرِي عَرَفَ ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ وَمِنْ لَهُ فِطْنَةٌ مِنَ أَهْلِ السَّبَبِ الدِّينِيِّ وَيُفَانِدُهُمْ يَجِدُونَ أَنْ فَسْهَمَ لِي يَقْدِرُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الْعَمَلِ قَدْرًا كَأَنِّي عَمَلُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَيُشْكُونَ ذَلِكَ وَلَا يَدْرُونَ الْعِلَّةَ فِيهِ وَلَعَلَّ ذَلِكَ بِسَبَبٍ مَا وَقَعَ مِنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ لِظُهُورِ الْأُمُورِ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرْعِ مِنْ عِدَّةٍ أَوْجَهُ وَأَشَدَّ ذَلِكَ الْمَاقِوَاتِ فِيهِ مِنَ الْحَرَامِ الْمُحْضِ وَمِنَ الْمُشْرَبِ مَا لَا يَخْفَى حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَتَوَقَّفُ فِي شَيْءٍ وَمَعَهُمَا قَدْرٌ عَلَى تَحْصِيلِ شَيْءٍ هَجَمَ عَلَيْهِ وَلَا يَبَالِي وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْبَرَكَةَ فِي الزَّمَانِ وَفِي الرِّزْقِ وَفِي النَّبَاتِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ طَرِيقِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَاتِّبَاعِ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ وَالْمُشَاهِدَةِ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) إِنَّ تَهْدِيَّ مَلْخَصًا.

ونحوه قاله السيوطي في [المحاوي للفتاوي (1/44)] فإنه قال في معنى الحديث:

قيل هو على حقيقته نقص حسي وأن ساعات النهار والليل تنقص قرب قيام الساعة. وقيل: هو معنوي وأن المراد سرعة مر الأيام ونزع البركة من كل شيء حتى من الزمان... وفيه أقوال غير ذلك. والله أعلم اهـ.

وهذه الأقوال الثلاثة: نزع البركة و سهولة الاتصال و التقارب الحسي لا تعارض بينها ولما مانع من حمل الحديث عليها جميعها. والله تعالى أعلم.

وقد قيلت أقوال أخرى في معنى تقارب الزمان غير أنها لم تبلغ من القوة درجة الأقوال السابقة.

منها: ما قاله الخطابي: هو من استلذذ إلى عيش قال الحافظ: يريد -والله أعلم- أنه يقيع عند خروج المهدي ووقوع الأمنة في الأرض وغلبة العدل فيها فيستلذذ إلى عيش عن ذلك وتستقر صور مدته وما زال الناس يستقرصرون مدة أيام الرخاء وإن طالَّت ويستطيلون مدة المكروه وإن قصرت. ثم قال الحافظ: وأقول: إنما احتاج الخطابي إلى تأويله بما ذكر لأن له لم يبق النقص في زمانه وإنما فالذي تضر منه الحديث قد وجد في زماننا هذا فإن نجد من سرعة مر الأيام ما لم نكن نجد في العصر الذي قبل عصرنا هذا وإن لم يكن هناك عيش مستلذذ والحق أن المراد نزع البركة... اهـ.

ومنها: ما قاله ابن بطال أن المراد تقارب أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون فيه من أمر بمعرُوف ولا ينهَى عَنْ مَنْكَرٍ لَغَلْبَةِ الْفَسَقِ وَظُهُورِ أَهْلِهِ اهـ.

وهذا التأويل خلاف ظاهر الحديث ويرده قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ فَتَكُونَ الْمَسْنَةُ كَالشَّهْرِ... الحديث). فإنه ظاهر أن المراد تقارب الزمان نفسه لا تقارب أحوال أهله.

والله تعالى أعلم.

انظر فتح الباري (13/21) شرح حديث رقم (7061) إتحاف الجماعة للتوحيدي (1/497) السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها لأبي عمرو عثمان الداني تحقيق د/ رضاء الله المباركفوري. أشرط الساعة للوايل (ص 120).